

الموعظة الحادية عشرة

الكسل

هدف الموعظة

بيان أضرار الكسل وعاقبته، والحثّ على علوّ الهمة والعمل.

محاوّر الموعظة

1. الكسل مضرّ بالدين والدنيا
2. عاقبة الكسل
3. الهمة

تصدير الموعظة

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾⁽¹⁾.

⁽¹⁾ سورة التوبة، الآية 38.

الكسل هو التغافل عمّا لا ينبغي التغافل عنه؛ ولذلك عدّ مذمومًا، وضده النشاط.

قال -سبحانه- في ذمّه: ﴿إِنَّ الْمُنْتَفِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽¹⁾. والذم في الآية الكريمة واقع على الكفر والنفاق، فإنّ الكفر والنفاق موجبان للكسل، والإيمان والإخلاص باعثان على التحرك والنشاط.

الكسل مضرّ بالدين والدنيا

عن الإمام الباقر عليه السلام: «الكسل يضرّ بالدين والدنيا»⁽²⁾. لا يُتوهم أنّ العمل في سبيل تحصيل المعاش هو طلب للدنيا، وأنّه مناف للدين، ففي الحديث عن الإمام الكاظم عليه السلام: «اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً»⁽³⁾.

فالعامل في سبيل المعاش أمر ضروريّ، والإسلام يبغض من يكون كلاًّ على غيره، يُلقى على غيره مسؤولية إعالته، عن الإمام الباقر عليه السلام: «ليس منّا من ترك ديناه لآخرته، ولا آخرته لديناه»⁽⁴⁾.

عاقبة الكسل

1. تضييع الحقوق، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إياك وخصلتين: الضجر

(1) سورة النساء، الآية 142.

(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 75، ص 180.

(3) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج 1، ص 76.

(4) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق، ج 3، ص 156.

- والكسل! فإنّك إن ضجرت لم تصبر على حقّ، وإن كسلت لم تؤدّ حقّاً»⁽¹⁾.
2. التقصير في طاعة الله، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إياكم والكسل! فإنّه من كسل لم يؤدّ حقّ الله - عزّ وجلّ -»⁽²⁾.
3. الفقر، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الأشياء لما ازدوجت ازدوج الكسل والعجز، فنتج بينهما الفقر»⁽³⁾.
4. خسران الدنيا والآخرة، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إياك والكسل والضجر! فإنهما يمنعانك من حظّك من الدّنيا والآخرة»⁽⁴⁾، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّي لأبغض الرجل أن يكون كسلان عن أمر دنياه، ومن كسل عن أمر دنياه فهو عن أمر آخرته أكسل»⁽⁵⁾.
5. مبغوضية الله، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله - عزّ وجلّ - يبغض العبد النّوام الفارغ»⁽⁶⁾.

الهمة

في قبال الكسل، حثّت الروايات على ضرورة السعي والكّد والهمة. والهمة العزم الجازم المتأكّد في تحصيل الإنسان ما ينبغي أن يحصله من تعرفّ الأمور

(1) الطبرسيّ، الميرزا حسين النوريّ، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، لبنان - بيروت، 1408 هـ - 1987 م، ط1، ج12، ص65.

(2) المصدر نفسه.

(3) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص86.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص85.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص88.

(6) المصدر نفسه، ج5، ص85.

واختيارها، والنظر في مصادرها ومواردها، وتحديق البصيرة نحو الأمور المعقولة، وإرسال الوهم والخيال وسائر الحواس نحو المعاني والصور المحسوسة المعينة لدرك المقاصد والمطالب، مع التألم والغمّ والهَمّ بسبب فقدها⁽¹⁾.

بالهمة يرتقي الإنسان من الحضيض إلى أوج الكمال، ويخرج من الذلّة إلى العزّة، كما ورد في الروايات عن أمير المؤمنين عليه السلام: «قَدَرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدَرِ هِمَّتِهِ»⁽²⁾، «ولا شرف كبعد الهمة»⁽³⁾، و«كَمال الرجل بستّ خصال: بأصغريه وأكبريه وهيئتيه، فأما أصغراه: فقلبه ولسانه، إن قاتل قاتل بجنان، وإن تكلم تكلم بلسان، وأما أكبراه: فعقله وهِمَّتُهُ، وأما هيئته: فماله وجماله»⁽⁴⁾.

وبالهمة يتحقّق عزّ اليأس عمّا في أيدي الناس، فعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال لجابر بن يزيد الجعفي: «واطلب بقاء العزّ بإماتة الطمع، وادفع ذلّ الطمع بعزّ اليأس، واستجلب عزّ اليأس ببعد الهمة»⁽⁵⁾.

(1) المازندراني، المولى محمد صالح بن أحمد، شرح أصول الكافي، تعليقات الميرزا أبو الحسن الشعرائي، ضبط وتصحيح السيّد عليّ عاشور، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1421 هـ - 2000 م، ط1، ج3، ص270.

(2) السيّد الرضي، نهج البلاغة (خطب الإمام عليّ عليه السلام)، مصدر سابق، ص477.

(3) الحرائي، الشيخ ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول عليه السلام، تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ المشرفة، إيران - قم، 1404 هـ - 1363 ش، ط2، ص286.

(4) الصدوق، الشيخ محمد بن عليّ بن بابويه، معاني الأخبار، تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ المشرفة، إيران - قم، 1379 هـ - 1338 ش، لا ط، ص150.

(5) الميرزا النوري، مستدرک الوسائل، مصدر سابق، ج12، ص69.

وإنَّ مَنْ لم تعرف الهمة طريقاً إليه، وكان حظُّه الفتور والجمول، فلن يصل إلى معالي الأمور، كما عن الإمام الصادق عليه السلام: «ثلاث يحجزن المرء عن طلب المعالي: قصر الهمة، وقلة الحيلة، وضعف الرأي»⁽¹⁾.

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 75، ص 231.